الفصل الثالث

الفك والإدغام

الفك والإدغام فى الفعل الثلاثى المضعف

مضعف الثلاثى[1] هو: ما كانت عينه ولامه من جنس واحد[2] ولهذا الفعل من حيث الفك والإدغام أحوال:

فتارة يكون ترك الإدغام ـ بإبقاء كل حرف على حاله ـ وهو الفك ـ ملتزما عند العرب.

وأخرى يكون إدغام العين واللام ملتزما كذلك عندهم جميعًا إلا ما خالف ذلك مما عُدّ شاذا.

وثالثة يختلف العرب فى فكه وإدغامه.

فيلتزم الفك فى الماضى منه والمضارع والأمر حال الإسناد إلى ضمائر الرفع المتحركة.

فمن الصدّ والجدّ تقول فى الماضى صددت وجددت وصددنا وجددنا، وصددن وجددن وفى المضارع والأمر[3] يصددن ويجددن واصددن واجددن، وقال تعالى: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠] وقال عز حكمه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

---

(١) الفعل المضعف نوعان: ثلاثى وهو ما نتحدث عنه، ورباعى وهو ما كانت فاؤه ولامه الأولى من جنس، وعينه ولامه الثانية من جنس مثل زلزل ووسوس وهذا النوع يأخذ حكم الفعل السالم فلا يعتريه تغيير عند إسناده إلى الضمائر أو الاسم الظاهر لأن الحرفين المتماثلين فيه غير متجاورين.

(٢) فيخرج منه مضعف العين مثل كبرّ ومضعف اللام مثل ابيضّ واقشعرّ واطمأنّ واستعدّ واجترّ واحمرّ وضارّ، ويعامل مضعف اللام معاملة المضعف الثلاثى أما الأول - وهو مضعف العين - فلا يحدث فيه تغيير عند الإسناد إلى الضمائر أو الاسم الظاهر.

(٣) يسند إليهما -من الضمائر المتحركة- نون النسوة فحسب.

ويلتزم الإدغام عند إسناد المضعف -بأنواعه الثلاثة الماضى والمضارع والأمر- إلى ضمائر الرفع الساكنة كألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة[1] فتقول: فى الماضى- صدّا وجدّا وصدّوا وجدّوا، وفى المضارع المرفوع: يصدّان ويجدّان ويصدّون ويجدون وتصدين وتجدين والمنصوب والمجزوم: لن أو لم يصدّا ويجدّا ويصدّوا ويجدّوا وتصدّى وتجدّى وفى الأمر: صُدَّا وجِدّا وصُدُّوا وجِدُّوا وصُدِّى، وجِدِّى.

وكذلك يجب الإدغام فى الماضى المضعف إذا أسند إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر أو لحقته تاء التأنيث فتقول: جَدَّ خالد وصَدّ على، ومحمد جدّ، وجدّت آلاء.

وكذلك يجب الإدغام فى المضارع المضعف إذا أسند إلى الأسم الظاهر أو الضمير المستتر فى حالتى الرفع والنصب فتقول يشبّ الطفل على ما عوّده أبواه والطفل يشبّ على الجد، ولن يشبّ الطفل أو الطفل لن يشبّ على غير الجد.

وهذه الحالات التى يجب فيها الفك أو الإدغام تكون عند العرب جميعًا.

وهناك حالات يجوز فيها الفك والإدغام فى الفعل المضعف الثلاثى على حسب اختلاف القبائل.

وذلك فى المضارع المسند إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر فى حالة الجزم لا غير فتقول: لم يصدّ علىّ ولم يصدُدْ ولم يجدّ أحمد ولم يجدد وعلىّ لم يجد ولم يجدد.

وكذلك فعل الأمر المسند إلى ضمير الواحد -وهو المبنى على السكون مثل: كُفَّ واكْفُفْ وجِدّ واجددْ وصُدّ واصدُدْ وقد نسب الفك إلى الحجازيين، والإدغام إلى التميميين.

ففى شرح الشافية: أهل الحجاز لا يدغمون فى المضاعف الساكن للجزم أو الوقف نحو اردد ولم تردد، لأن شرط الإدغام تحريك الثانى، وبنو تميم وكثير

---

(١) فى المضارع والأمر.

من غيرهم لما رأوا أن هذا الإسكان عارض للوقف أو الجزم وقد يتحرك وإن كانت الحركة عارضة فى نحو (اردد القوم) لم يعتدوا بهذا الإسكان وجعلوا الثانى كالمتحرك، فسكنوا الأول ليدغم فتخفف الكلمة بالإدغام[1].

وقال الأزهرى إن بنى تميم ـأدغموا فى المضارع المجزوم بالسكون وفعل الأمر المبنى على السكون اعتدادًا بتحريك الساكن فى بعض الأحوال نحو لم يردد القوم واردد القوم وأهل الحجاز لا يعتدون بذلك[2].

ويذكر السيوطى أن الفعل المضاعف إن سكن للجزم أو البناء فالحجازيون يفكون وغيرهم من العرب يدغم لعدم اعتدادهم بالعارض[3].

وفى حالة الإدغام ـهناـ يفتح آخر الفعلـ مضارعًا كان أو أمرًاـ للتخفيف عند من يدغم من التميميين وأهل نجد بصفة عامة سواء وليه ضمير الغائب المذكر أو الغائبة أو وليه ساكن أو لا نحو رده ولم يرده ولم يردها ورد المال ولم يرد المال ورد ولم يرد وروى عن قبيلة كعب وغنى ونمير ـوكلها بطون من قيسـ الكسر مطلقًا على أصل التخلص من التقاء الساكنين.

ونقل عن بنى أسد الفتح حين لا يقع بعد المدغم حرف ساكن، أما إذا وقع بعده ساكن فإنهم يكسرون المدغم لالتقاء الساكنين فيكسر فى مثل رد المال ولم يرد المال ويفتح فيما عداه.

ونقل عن بعضهم إتباع آخر الفعل لأقرب الحركات إليه نحو رد ـبالضم ـ وعضـ بالفتحـ وفرـ بالكسرـ إلا مع ضميرى المذكر الغائب والمؤنثة الغائبة فيحرك بحركة الضمائر فيقال: عضه ـبالضمـ وردهاـ بالفتح وإلا فيما بعده ساكن من كلمة أخرى كلام التعريف أو غيرها فيجوز عند بعضهم الفتح وعند آخرين الكسر وهو أجود كما يقول سيبويه مثل فـغُضّ الطرف وردّ ابنك ـبكسر آخر الفعل وفتحهـ.

---

(١) ٢/ ٢٣٩.

(٢) شرح التصريح ٢/ ٤٠١.

(٣) همع الهوامع ٢/ ٢٢٧.

يقول سيبويه: اعلم أن منهم من يحرك الآخر كتحريك ما قبله، فإن كان مفتوحًا فتحوه، وإن كان مضمومًا ضموه وإن كان مكسورًا كسروه، وذلك قولك رد وعض وفر يا فتى[1] فإن جاءت الهاء والألف فتحوا أبدا، وسألت الخليل لم ذاك؟ فقال: لأن الهاء خفية فكأنهم قالوا: ردا وأمدا وغلا -إذا قالوا: ردها وغلها وأمدها- (كلها أفعال أمر)، فإن جئت بالألف واللام وبالألف الخفيفة كسرت الأول كله لأنه كان فى الأصل مجزوما، لأن الفعل إذا كان مجزوما فحرك لالتقاء الساكنين كسر، وذلك قولك: اضرب الرجل، فلما جاءت الألف واللام والألف الخفيفة رددته إلى أصله، لأن أصله أن يكون مسكنًا على لغة أهل الحجاز، ومنهم من يفتح إذا التقى ساكنان على كل حال إلا فى الألف واللام والألف الخفيفة، فزعم الخليل أنهم شبهوه بأين وكيف وسوف وأشباه ذلك، وفعلوا به إذا جاءوا بالألف واللام والألف الخفيفة ما فعل الأولون وهم بنو أسد وغيرهم من بنى تميم، وسمعناه ممن ترضى عربيته، ومنهم من يدعه إذا جاء بالألف واللام على حاله مفتوحًا يجعله فى جميع الأشياء كأين، وزعم يونس أنه سمعهم يقولون: غض الطرف إنك من نمير[2].

وقد جاءت آيات كثيرة بالإدغام والفك واختلفت القراءات فى الآيات كما جاء ذلك فى بعض الأحاديث النبوية تبعًا للهجات العربية فمما جاء من المضارع الفعل (تضار) فى قوله تعالى: ﴿**لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ**﴾ [البقرة: ٢٣٣].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبان عن عاصم (لا تضار) -بالرفع- أى برفع الراء المشددة[3] على الإخبار[4].

---

(١) بالضم فى الأول والفتح فى الثانى والكسر فى الثالث على الاتباع.

(٢) الكتاب ٣/ ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤ وانظر نحو ذلك فى الكامل للمبرد ١/ ٣٣٩، ٤٣٠ والهمع ٢/ ٢٢٧ وانظر أيضًا شرح التصريح ٢/ ٥٠١، والمصباح ٦٨٦.

(٣) هذا الفعل -فى هذه القراءة ونظائرها- من ضار- بتشديد الراء لا من ضار بتخفيفها وانظر البحر ٢/ ٢١٢، ٢١٤.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٧٠، ٣٧١، وهى خبرية لفظًا إنشائية -على النهى- معنى.

وقرأ باقى السبعة (لا تضار) ـبفتح الراء على الجزم جعلوم نهيا[1] وقرأ الحسن بكسر الراء المشددة على النهى والجزم[2].

وروى عن ابن عباس (لا تضارر) بفك الإدغام وكسر الراء الأولى وسكون الثانية ـمبنيًا للمعلوم ـ وقرأ ابن مسعود ـ كذلك ـ بفك الإدغام لكن بفتح الراء الأولى وسكون الثانية ـمبنيًا للمجهول ـ وكلا القرائتين على الجزم والنهى[3].

والإظهار فى هذا ونحوه لغة الحجاز والفك لغة تميم.

والفعل (يغرّ) فى قوله سبحانه: ﴿فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾ [غافر: ٤] قرأ الجمهور بالفك ـوهى لغة أهل الحجاز ـ وقرأ زيد بن على وعبيد بن عمر (فلا يغرك) بالإدغام مفتوح الراء وهى لغة تميم[4].

والفعل (يضرّ) فى قوله جل ثناؤه: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠][5] قرأ الكوفيون وابن عامر بالإدغام، وقرأ أبى: (لا يضركم) بفك الإدغام، وقرأ عاصم ـفيما روى أبو زيد عن المفضل عنه ـ بضم الضاد وفتح الراء المشددة نحو، لم يردّ زيد، والفتح هو الكثير المستعمل، والفك لغة أهل الحجاز، ولغة سائر العرب الإدغام[6].

---

(١) سكنت الراء الأخيرة للجزم وسكنت الراء الأولى للإدغام فالتقى ساكنان فحرك الأخير منهما بالفتح لموافقة الألف التى قبل الراء لتجانس الألف والفتحة.

(٢) فى هذه الحالات الثلاث التى جاءت فيها الراء مشددة مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة يجوز أن يكون الفعل مبنيًا للمعلوم وأصله (تضارر) بكسر الراء الأولى -أو مبنيًا للمفعول وأصله (تضارر) بفتح الراء الأولى.

(٣) فى حال البناء للمعلوم يكون ما بعد الفعل -والدة ومولود- هو الفاعل والمفعول محذوف والتقدير: لا تضارر والدة زوجها بأن تطالبه بما لا يقدر عليه من رزق وكسوة وغير ذلك من وجوه الضرر، ولا يضارر مولود له زوجته بمنعها ما وجب لها من رزق وكسوة وأخذ ولدها مع إيثارها إرضاعه وغير ذلك من وجوه الضرر.

وإذا كان مبنيًا للمجهول فما بعده نائب فاعل والمراد النهى عن أن يلحق الوالدة الضرار من قبل الزوج وأن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد.

(٤) انظر البحر ٧/ ٤٤٩.

(٥) اختلف أحركة الراء إعراب فهو مرفوع أم حركة إتباع لضمة الضاد، وهو مجزوم، فخرج الرفع على التقديم والتقدير: لا يضركم أن تصبروا، ونسب هذا القول إلى سيبويه، وخرج أيضًا على أن (لا) بمعنى (ليس) مع إضمار الفاء والتقدير: فليس يضركم. قاله الفراء والكسائى.

(٦) البحر ٣/ ٤٣.

وكذلك الفعل (يمس) فى قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٤٠][١] قرئ يمسكم بالإدغام -ويمسسكم بالفك.

وجاء الفعل (يرتد) -مجزوما- بالفك والإدغام فى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧][٢].

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] قرأ نافع وابن عامر (من يرتدد) بدالين مفكوكا وهى لغة الحجاز، والباقون بواحدة مشددة وهى لغة تميم[٣].

كما جاء الفعل (يشاق) -مجزوما- كذلك فجاء بالفك فى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء: ١١٥][٤].

كما جاء بالإدغام والفك فى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٤][٥] قرأ الجمهور بالإدغام وقرأ طلحة بالفك[٦].

والفعل (يحب) فى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] قرأ الجمهور (تحبون ويحببكم) من أحب، وقرأ أبو رجاء العطاردى بفتح التاء والياء من حب -وهما لغتان، وقرئ (يحبكم) بفتح الياء والإدغام.

وأيضًا الفعل (يحل) فى قول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

---

(١) البحر ٣/ ٦٢ وانظر ص ٤٣ أيضًا.

(٢) لم تقرأ هنا بإدغام المثلين. البحر ٢/ ١٥٠.

(٣) انظر الكتاب ٢/ ٤١٧، ٤٧٣ والسبعة لابن مجاهد ص ٢٤٥ والبحر ٣/ ٥١١.

(٤) البحر ٣/ ٣٥٠.

(٥) أجمعوا على فك المثلين اتباعا لخط المصحف. البحر ٤/ ٤٧١.

(٦) البحر ٨/ ٤٤.

والفعل (تمنن) فى قوله سبحانه ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦] قرأ الجمهور بالفك والحسن وأبو السمال بشد النون[١].

ويستعف فى قوله سبحانه: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣][٢].

ومما جاء من ذلك فى الحديث ما وقع فى حديث لأبى ذر (فلم أتقار أن قمت) بالإدغام أى لم ألبث وأصله أتقارر فأدغمت الراء فى الراء[٣].

ومما جاء من صور الأمر قوله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٧-٢٨][٤].

وقوله سبحانه: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩][٥] الحجازيون يقولون: اغضض وأهل نجد يقولون غُضّ بالإدغام.

وفى الحديث (اللهم اشدد وطأتك على مضر)[٦] جاء هذا بالفك وكذلك (ثم قال لإنسان يصب: اصبب فصب على رأسه)[٧].

وفى حديث آخر (خذ يا جابر فصب على)[٨] بالإدغام.

وكذلك (فمن جاءك منا فاقصص عليه)[٩] بالفك، وجاء بالإدغام فى قوله (من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له)[١٠].

---

(١) انظر البحر ٢/ ٤٣١، ٦/ ٢٦٣، ٨/ ٣٧١، ٣٧٢.

(٢) انظر: النهر الماد على البحر ٦/ ٤٥٠.

(٣) النهاية ٣/ ٣٨.

(٤) انظر البحر ٦/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٥) لم يقرأ هنا بإدغام المثلين.

(٦) صحيح مسلم ١/ ٤٦٧.

(٧) المصدر السابق ٤/ ٣٠٦.

(٨) المصدر السابق ٤/ ٣٠٨.

(٩) المصدر السابق ٣/ ٤٢٣.

(١٠) المصدر السابق ٤/ ٧٧٩.

ومما ورد فى الشعر قول جرير:

فَـــغُضَّ الطرف إنـك من نمـيـــر فــلا كـــعـبـــا بلغت ولا كـــلابا

ويقول المبرد: أهل الحجـاز على القياس الأصلى: اردد واغضض وكل ذلك من قولهم وقول التميميين قياس مطرد بين[1].

فأهل الحجـاز لا يدغمون لئلا يؤدى الإدغـام إلى التقاء الساكنين إذ يـحتاج إلى تسكين الأول والثانى ساكن فيلتقى ساكنان نحو: إن تردد أردد واشدد وغيرهم يدغم حمـلا للمجزوم على غـيره مثل يفرّ وحـمل ما سكونه بناء على مـا سكونه للجزم للمشابهة بينهما كحذف آخر الفعل المعتل للجزم وللبناء مثل اغز ولم تغز[2].

هذا هو المشهور عند العرب.

وقـد جاءت بعض الروايـات عن بعض العرب بالإدغـام فى الماضى والمضـارع والأمر المسندة إلى ضـمائر الرفع المتـحركة فـيقولون: ردّت ـبضم التـاء وفتحـها للمتكلم والمخاطب ـ وردّن ـ بالإسناد إلى نون النسوة ـ فى الماضى ـ ويردّن وردّن ـ بإسناد المضارع والأمر إلى نون النسوة والمشهور عند العرب الفك بأن يقال: رددت بضم التاء للمتكلم وفتحها للمخاطب ـوردن ويردن واردن (كأنهم قدروا وجود الإدغام قبل دخول تاء الضمير أو نونه)[3] وكأن اتصال الضمير أمر عارض[4].

وعليه فى الحديث (**رأيت فى رؤياى هذه أنى هززت سيفا**) الرواية بالفك وعند السمرقندى هزّت سيفا بزاى مشددة[5].

وفى حديث أحد (**حتى رأيت النسـاء يشتـددن فى الجبل**) أى يعدون جاء الفعل يشتـددن بالفك ـعلى الأصل، وجاءت فيـه رواية أخرى هى (**يستدّن**) ـبالسين المهملة والنون ـ أى: يصعدن فيه.

---

(١) اللسان (غض) والبحر ٢/ ٤٤٣ والكامل للمبرد ١/ ٣٤٠.

(٢) الممتع ٢/ ٦٥٦، ٦٥٧.

(٣) الممتع ٢/ ٦٦٠.

(٤) شرح الشافية ٢/ ٢٤٦.

(٥) شرح مسلم للنووى ١٥/ ٣٢.

وعلى ذلك جاءت قراءة ابن أبى عبلة والوليد بن مسلم وأبى جعفر وشيبة ونافع -فى بعض الروايات عنهم- فى قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ﴾ [ق: ١٥] (أفَعيَّنا)[١] قرأوها بتشديد الياء من غير إشباع فى الثانية، ووجهها ابن خالويه فى الشواذ بأنها من إدغام الياء فى الياء فى الماضى عيى وهى مفتوحة قبل لحاق ضمير المتكلمين به، فلما أدغم ألحقه ضمير المتكلم المعظم نفسه ولم يفك الإدغام[٢].

وعليه ما جاء فى الحديث (حتى إذا رأينا جدر المدينة هششنا إليها) كذا الرواية عند السجزى وعند أبى بحر: هشّنا بفتح الهاء وتشديد الشين على الإدغام ولغة بعض العرب فى نقل الحركة ثم إدغامها[٣].

وهذا الإدغام مخالف للمعهود فى اللغة وقد وصفه بعض شراح الحديث بأنه صحيح[٤] وقيل إنه شاذ قليل[٥] أو تركيب قبيح فى العربية[٦] وذلك لأن الإدغام إنما جاز فى المضعف لسكون الأول وتحرك الثانى وعند الإسناد إلى ضمير الرفع المتحرك يلزم الفك لأن ما قبل الضمير المتحرك يسكن لتوالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة فيلتقى ساكنان (الحرف الأول من المدغم والمدغم فيه بعد التسكين) فيحرك الأول ويفك الإدغام.

ونسب الإدغام هنا إلى بكر بن وائل أو أناس منهم وهى لهجة ضعيفة[٧] كما ذكر الخليل وسيبويه قال الرضى: اعلم أنه إذا اتصل النون وتاء الضمير بالمضاعف نحو رددت ورددنا فإن بنى تميم وافقوا فيه الحجازيين فى فك الإدغام للزوم سكون الثانى، وزعم الخليل وغيره أن أناسا من بنى بكر بن وائل وغيرهم يدغمون نحو ردّت نظرا إلى عروض اتصال الضمائر فيحركون الثانى بالفتح للساكنين، قال السيرافى: هذه لغة رديئة فاشية فى عوام أهل بغداد[٨].

---

(١) قرأ الجمهور (أفعيينا) بياء مكسورة بعدها ياء ساكنة وهو الماضى (عيى) كرضى أسنده إلى ضمير المتكلمين.

(٢) انظر: البحر ٨/ ١٢٢، ١٢٣.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٧.

(٤) النووى فى شرح مسلم ١٥/ ٣٢.

(٥) شرح الشافية للرضى ٣/ ٢٤٥

(٦) اللسان ٤/ ٢٢٠.

(٧) شرح التصريح ٢/ ٤٠٣ والأشمونى ٤/ ٣٥١، ٣٥٢ والممتع لابن عصفور ٢/ ٦٦٠، ٦٦١ والكتاب لسيبويه ٣/ ٥٣٥ والبحر عند الحديث عن الآية أفعيينا إلخ.

(٨) شرح الشافية ٢/ ٢٤٦.

كما جاء الفك فى الماضى المسند إلى ضمائر الرفع الساكنة شذوذا فى قول الشاعر:

مـهـلا أعـاذل قـد جـربت من خلقى أنى أجـــود لأقـــوام وإن ضنـنوا

وكذلك فى الأمر فى قول البوصيرى:

فـمـا لعيـنيك إن قلت اكـفـفاهمـتـا ومـا لقلبك إن قلت اسـتـفق يهم

كمـا جاء الفك فى الفعل الماضى المسند إلى الاسم الظاهر أو الضـمير المستـتر منسوبًا إلى هذه القبيلة السابقة أيضًا.

ومن ذلك الحديث (**فازحـفت عليه بالطريق فـعيى بشـأنها**)[1] الرواية بكسر الياء الأولى من العِىّ والعجز، وفى رواية بعضهم فعىّ بتشديد الياء وإدغام الأولى فيها على اللغة السابقة.

وفى كتب اللغة: عىّ بأمره وعِيَ والإدغام أكثر نقله الأزهرى وذلك عند بعض العرب[2] يقال: عِيَ من باب تعِب وقد يدغم الماضى فيقال عى[3].

صيغة افتعل

يجـرى فيـها تقـريب الصوت من الصـوت لأجل الإدغام، فـقد أراد العـرب التخفيف حين تتجاور تاء الافتعـال المهموسة الشديدة مع بعض الأصوات المجهورة أو الرخوة كالدال والذال والزاى لصعوبة النطق بها دون حدوث تغيير صوتى.

فالتـاء المهموسـة لا تتناسب مع الدال المجهـورة، والدال والزاى مع جهـرهما رخوان فـتقلب تاء الافتـعال دالا فتقـول فى افتعل من دان: ادان ومن ذكـر اذدكر ومذدكر ومن زان ازدان ومن زجر ازدجر.

وبعض العرب ـفى غير المتماثلين كـالذال والزاىـ يزيد من قوة التماثل فيحول الدال صوتا من جنس فاء الافتعال ويدغمها فيها فيقول من ذكر: اذّكر ومذّكر ومن زان: ازّان، ومن زجر: ازّجر.

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ٩٦٢.

(٢) اللسان والصحاح والقاموس (عيى).

(٣) المصباح ٤٤١.

وبعضهم يقلب فاء الافتعال إذا كانت ذالا من جنس الدال بعدها ثم يدغمها فيها فيقول: ادّكر، ومدّكر ومنه قوله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] وقرأ بعضهم (واذّكر) بالذال، وعلى ذلك جاء فى الحديث (**وعليه جمازة فاذرع منها يده**) أى أخرجها، هكذا رواه الهروى وغيره واذّرع افتعل من ذرع بمعنى مدّ ذراعيه ويجوز ادّرع أيضًا[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩] وفى حديث أصحاب المائدة (**أمروا ألا يدخروا فادخروا**) أصل الادخار: اذتخار افتعال من الذخر يقال ذخر واذتخر فقلبت التاء إلى ما يقاربها من الحروف وهو الدال لأنهما من مخرج واحد ولتناسب الذال فى الجهر فقيل اذدخر، وفيها طريقتان أخريان:

إحداهما: قلب الذال المعجمة دالا وإدغامها فيها فتصير دالا مشددة ادخر - وهذا هو الأكثر.

والثانية: قلب الدال المهملة إلى ذال وإدغامها فيها فتصير اذخر وهذا هو الأقل[2].

وأراد العربى التخفيف -أيضًا- حين تكون فاء الافتعال من أصوات الإطباق (الصاد والضاد والطاء والظاء)، لأن تاء الافتعال مستفلة، وهذه الأصوات مستعلية مطبقة مما يسبب ثقلا فى النطق بها متجاورة مع التاء بعدها، فيحول العربى التاء إلى صوت من مخرج التاء له صفة الاستعلاء والإطباق وهو الطاء لينتقل اللسان من صوت مطبق إلى نظير مطبق أيضًا فيسهل النطق ويتحقق الانسجام فيقول: من صبر: اصطبر ومصطبر.

ومن ضجع: اضطجع ومضطجع.

ومن طلع: اطلع ومطلع.

ومن ظعن: اظطعن ومظطعن.

---

(١) النهاية ٢/ ١٥٨ (ذرع) وسر الصناعة ١/ ٢٠٢ - ٢٠٤.

(٢) النهاية ٢/ ١٥٥، ١٥٦ وسر الصناعة ١/ ٢٠٠ - ٢٠٢.

وقد قرب العربى التاء المستفلة من الفاء المستعلية المطبقة ولم يدغم، أما مع الطاء فيجب الإدغام لاجتماع المثلين والأول منها ساكن.

وأحيانًا يزيد بعض العرب التخفيف والتقريب فيقلب الطاء المبدلة من تاء الافتعال إلى جنس الصوت الذى هو فاء الافتعال ثم يدغم فيه فيقول: فى اصطبر: اصّبر، وفى مصطبر: مصّبر.

قال تعالى: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ [النساء:١٢٨] قرأ الجحدرى: (أن يصّلحا) بتشديد الصاد، ويقول فى اضطجع: اضّجع، وفى اظطعن اظّعن بتشديد الفاء.

وأحيانًا أخرى نجد بعض العرب يقلب فاء الافتعال من جنس الطاء التى حلت مكان التاء فيقول: فى اضّطجع: اطّجع، وفى أضطره: أطّره قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦]، قرأ ابن محيصن: أطّره بتشديد الطاء.

وكان أصل (يصّلحا) هو يصتلحا لأنه يفتعل من صلح فقلبت تاء الافتعال طاء ليتحقق التماثل والانسجام فى أصوات اللفظ لأن التاء صوت مستفل والصاد مستعل فحولت التاء إلى صوت مستعل مناسب وهو الطاء فصار اللفظ (يصطلحا) وهذا نوع من تقريب الصوت دون إدغام ثم حولت الطاء من مخرجها من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا إلى مخرج الصاد من طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى لتتفق معها فى الرخاوة ويسمح للهواء بالمرور وعندئذ يتحد الصوتان فيدغمان نتيجة لذلك فصار اللفظ على ما هو عليه الآن (يصّلحا)، وعلى هذا النمط تفسر اصّبر، أما قراءة (أطّره) فقد كان أصل اللفظ أضتره ثم لاستفال التاء واستعلاء الضاد قلبت التاء طاء لتناسب الضاد فصارت أضطره ثم إن الضاد انتقلت إلى رخاوة الطاء فقلبت صوتا مماثلاً ثم أدغمت فيها، ويعتبر ابن جنى هذه لغة مرذولة أعنى إدغام الضاد فى الطاء وذلك لما فيها من الامتداد والفشو فإنها من الحروف الخمسة التى يدغم ما يجاورها فيها ولا تدغم هى فيما يجاورها وهى:

(ش ـض ـ ر ـ ف ـ م) ويجمعها (ضم شفر) وقد أخرج بعضهم الضاد من ذلك وجمعها فى قولهم (مشفر)[1].

وهذه الحروف يدغم بعضها فى بعض ويحول بعضها إلى بعض لقرب المخارج فأصوات الإطباق أخوات ومن قبلها الدال والذال والزاى كلهن من الثنايا وطرف اللسان[2] فكلهن من حيز واحد.

أما إذا بنيت (افتعل) من واوى الفاء أو يائيه فالعرب يختلفون، فالحجازيون لا يعبأون بتلاعب الحركات التى قد تقلب الواو ياء أو ألفا أو تقلب الياء واوًا أو ألفا ففى افتعل من (ورث) يقولون: ايترث، ياترث، موترث ومن ينع: ايتنع، ياتنع، موتنع وأما التميميون فيبدلون الواو أو الياء تاء ويدغمونها فى تاء الافتعال حتى لا تتعرض لتلاعب الحركات بها فيقولون فيما سبق: اتّرث يتّرث فهو متّرث، واتّنع يتّنع فهو متّنع.

تفاعل وتفعل

تأتى كل من الصيغتين بإظهار التاء دون إدغامها فيما بعدها وإذا كانت الفاء فيهما من طائفة الحروف التى تخرج من أصول الثنايا العليا أو السفلى أو مما بين الثنايا (ط د ت ـ ظ ذ ث ـ ص س ز) أو من حروف وسط اللسان (ج ش) اختلفت قبائل العرب.

فبعضهم يظهر التاء فيها دون إدغام لها فى الفاء بعدها وبعضهم يدغم.

فمن الإظهار فى صيغة تفاعل قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [القلم: ٤٩] ومن الإدغام قوله عز حكمه ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢] وقوله تعالى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [النمل: ٦٦] وقوله: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨].

---

(١) المحتسب ١/١٠٦.

(٢) الكتاب ٤-٤٦٢-٤٦٤.

ومما جاء بعدة أوجه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠] قرئ يتشابه بالياء والتاء دون إدغام وقرئ (يشّابه) بالإدغام[١].

وقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤] قرئ: تظاهرون بحذف إحدى التاءين وبإدغام التاء الثانية فى الظاء[٢].

ومن الإظهار فى صيغة تفعل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨] وقوله ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ [النازعات: ٣٥].

ومن الإدغام قوله عز حكمه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ [يونس: ٢٤] فأصل ازّينت: تزينت فأدغم، وقرئ على الأصل[٣] وقوله تعالى: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ﴾ [الصافات: ٨] أصله يتسمعون، والبيان عربى حسن لاختلاف المخرجين[٤].

وقوله جل ثناؤه: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

أصل يصّعّد، يتصعّد، وقرئ يصّاعد وأصله يتصاعد[٥].

وقوله سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣] أصله: يتصدعون على معنى يتفرقون فمنهم من يدخل الجنة ومنهم من يدخل النار.

---

(١) تفسير أبى السعود ١/ ١١٢.

(٢) تفسير أبى السعود ٧/ ٩٠.

(٣) الإتحاف: ٢/ ١٠٨.

(٤) الكتاب ٤/ ٤٦٣.

(٥) تفسير أبى السعود ٣/ ١٨٣.

وفى حديث الزكاة: **(لا يؤخذ فى الصدقة هرمة ولا تيس إلا أن يشاء المصدق)**[1] ـ بضم الميم وتشديد الصاد والدال معا مع كسر الدال وهو صاحب المال وأصله: المتصدق فأدغمت التاء فى الصاد.

ومما لا ريب فيه أن وضوح الأصوات وفصل بعضها عن بعض يتطلب بذل مجهود عضلى كبير حتى لا تختلط، ولا تشوه صورها، وهذا خاص بالبيئة المدنية التى تتسم بتلك السمات، أما غموض الأصوات ودخول بعضها فى بعض فإنه ناجم عن السرعة فى إخراجها، وعدم التأنى فيها، وذلك هو اتجاه قبائل البادية.

ومن هنا استنتج علماء اللغة أن الإدغام ينسب إلى تلك القبائل التى كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقيها فمعظمها قبائل بادية تميل إلى التخفيف، والسرعة فى الكلام كتميم وأسد وغنىّ وعبد القيس، وبكر بن وائل وكعب ونمير[2].

كما ينسب الإظهار إلى بيئة الحجاز المتحضرة وهى تمثل التأنى فى الأداء بحيث تظهر كل صوت فيه[3] وقد نسب سيبويه هذه الظاهرة إلى قبائلها فى مواطن من كتابه.

وليس معنى هذا أن كل قبائل الحجاز لا تدغم فى كل حال، بل إن بعض قبائل الحجاز ربما تأثرت بمجاوريها من أرباب الإدغام، فتميل إليه كهذيل، فهى قبيلة مدنية، وقد ثبت أنها تدغم ياء المتكلم فى ألف المقصور بعد قلبها ياء وقد تقدم شرح ذلك[4].

وهذه الظاهرة تسمى عند علماء اللغة المحدثين (المماثلة assimilation وتدرس أحيانًا تحت اسم التضعيف doubling وهى تخضع لنظرية السهولة، وكأن الإدغام ظاهرة حادثة، والفك هو الأصل قبل التطور.

---

(١) النهاية ٣/ ١٥ الهرمة وذات العوار لا تؤخذ فى الصدقة إلا إذا كان المال كله كذلك عند بعضهم، وقد نهى عن أخذ التيس فى الصدقة لأنه مضر برب المال إلا أن يسمح به.

(٢) اللهجات العربية والقراءات القرآنية ص١٣٣.

(٣) فى اللهجات العربية د. أنيس ص٥٦.

(٤) انظر ص ٣٨٤ من هذا الكتاب.